تطوّر دلالتَي "الكَبْش" و"الأَسَـل" عند ابن فارس

الأستاذ : قلالة عمار
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر –بسكرة (الجزائر)

ملخـــص:

لابن فارس (ت395هـ) أحكام صريحة وخفيّة بتطور دلالات طائفة من الألفاظ، بثّها في معجمه "مقاييس اللغة" من غير أن يسوق بيّنة عليها. والمقال عبارة عن تحقيق في صحّة حُكمين من تلك الأحكام منوطين بلفظتَي "الكَبْش" و"الأَسَل"، بالاستناد إلى مرجعين اثنين، أحدهما: أقوال العلماء الثقات، والآخر: الشواهد الصحيحة الفصيحة؛ فأحقّ الأقوال بالقبول وأحراها بالتصديق ما كان عليه أكثر اللغويين وصدّقته الشواهد الوثقى.

Résumé :

"Ibn Fares" a des jugements explicites et implicites qui affirment le changement sémantique d'une ensemble des mots qui a été introduit dans son dictionnaire "Makais Alougha" sans avoir des preuves. L'article a pour but la confirmation investigation a propos la confirmation de deux jugements, qui ont relation avec deux mots "Al kabch" et "Al asal" en basant sur deux références, le premier est les propos des célèbres savants et le deuxième les citations précises et éloquentes. Alors que le propos la plus logique et acceptable est celle de la plupart des savants qui est affirmé avec les citations authentiques.

يتبيَّن بالنظر في المعجمات العربية القديمة أن قول كثير من الدارسين: إن أصحابها لم يولوا اهتماما بتطور دلالات الألفاظ، مجانب للصواب. فابن فارس -وهو واحد من أولائك- حفل في معجمه "مقاييس اللغة" برصد ما كان قديما من التطورات الدلالية، لكنه لم يسق أدلَّة على ذلك، فلا يُدرى أصحيح ذلك التطور أم غير صحيح، أو على الأقل أراجحٌ أم مرجوح. والسبيل إلى ذلك تتبُّع شواهد اللفظ ومسيره عبر الزمن، مع اعتبار آراء العلماء؛ لأن الشواهد وحدها قد لا تكفي للوصول إلى المرام، إذ أتت السنون على كثير منها فَفُقدت بفقدان نصوصها.

1- تطوّر دلالة "الكَبْش":

قال ابن فارس: «(كبش) الكاف والباء والشين كلمة واحدة وهي الكَبْش، وهو معروف. وكبش الكتيبة عظيمها ورئيسها، قال:

ثم ما هابوا ولكن قدّموا ... كبش غارات إذا لاقى نطحْ»[1].

شرح القول:

لوّح ابن فارس باستعارة العرب لفظة "الكبش" من الحيوان المعروف، لعظيم الكتيبة ورئيسها، حين جعل أصل هذه المادة كلمة واحدة بدلالة واحدة، ثم ذكر لها دلالة أخرى، إشارة منه إلى أنها راجعة إليها، ومحمولة عليها، وهي من طرائقه لتبيان التطور الدلالي في معجمه "مقاييس اللغة"[2].

ويبدو أن ابن فارس كان متابعا لمن قبله في هذا المذهب؛ فالخليل وابن دريد في معجميهما اللذين هما من مصادر "المقاييس" الرئيسة أشارا إلى ذلك بإضافة "الكبش" إلى "الكتيبة" بُعيد ذكر دلالة الحيوان[3]، كما فعل ذلك ابن فارس نفسه في معجمه الآخر "مجمل اللغة"[4]، إلا أنه زاد في "المقاييس" أن ردّه إلى دلالة الحيوان ردا ثانيا بيّناه.

وأما الزمخشري فصرح بذلك تصريحا بقوله: «ومن المجاز: هو كبش كتيبة، وهم كباش الكتائب»[5]. مع أن إبراهيم أنيس يزهّد في أحكام الزمخشري بالمجازية على دلالات الألفاظ، حيث يقول: «ولا يكون الحكم صحيحا على الحقيقة والمجاز في الألفاظ إلا إذا اقتصر على بيئة معينة وجيل خاص، فالمجاز القديم مصيره إلى الحقيقة، والحقيقة القديمة قد يكون

مصيرها إلى الزوال والاندثار (...) تلك هي الظاهرة التي جهلها أو تجاهلها الزمخشري حين عرض للحقيقة والمجاز في معجمه "أساس البلاغة"»[6].

والذي نراه أن الزمخشري لم يجهل هذا الأمر وإنما توسّع في التعبير فقط، مع أنه قد قصد إلى التفريق بين الحقيقة والمجاز في معجمه[7]. كان يستعمل لفظة "المجاز" تارة لما كان -في نظره- مجازا حيا ثم صار حقيقة، وتارة أخرى لما هو مجاز حي في بيئته وعند جيله. هذا الذي أُخِذَ عليه وعُدَّ اضطرابا منه[8].

والدليل على النوع الأول وجداننا لبعض ما نَصَّ على أنه مجاز، في معجمات سابقة لم يشترط أصحابها ذكر الدلالات المجازية فيها[9]، والدليل على النوع الثاني قوله في مقدمة معجمه: «ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين»[10].

وعليه فهذا تطوّر دلالي انتقلت فيه دلالة "الكَبْش" من الحيوان المعروف إلى عظيم الكتيبة ورئيسها، وهذه صياغته الرياضية:

الدلالة القديمة: الكبش = الحيوان المعروف

الدلالة الجديدة: الكبش = عظيم الكتيبة

وليس في ورود "الكتيبة" مضافا إليها "الكبش" دلالة على أنه مجاز حي لا يزال محتاجا إلى قرينة صارفة وليس بتطور دلالي، وإنما يرجع ذكرهم إياها إلى كثرة لزومها لها في الاستعمال، وقد وردت بغير إضافة في "المنجّد في اللغة" لكراع[11]، وفي "تاج العروس" للزبيدي حيث قال: «ومن المجاز: الكَبش: سيّد القوم وقائدهم ورئيسهم»[12].

وفي الشعر جاءت غير مضافة إلى اسم ظاهر، وفيما جمعه المفضّل الضبي في "مفضّلياتِه" شاهد على ذلك، وهذا عرض ما وجدنا، مستندين إلى تأريخ خير الدين الزركلي لوفيات أصحاب الأبيات[13]:

قال الأَخْنَسُ بن شِهَابٍ[14]: (ت 70 ق هـ)

هُمُ يضربون الكبشَ يبرُق بيضُه ... على وجهِهِ من الدِّماء سبائبُ

أي: رئيس القوم وحاميهم، كذا في الشرح بالهامش.

وقال علقمة بن عَبَدَة[15]: (ت 20 ق هـ)

فقاتلْتَهم حتّى اتقوك بكبشهم ... وقد حان من شمس النهار غروب

أي: بمَلكهم ورأسهم، كذا في الشرح بالهامش.

وقال المُزَرِّدُ بن ضِرَار[16]: (ت 10 هـ)

وأني أردُّ الكبش والكبشُ جامح ... وأرجِع رمحي وهْو ريّان ناهلُ

كبش القوم: بطلهم وسيدهم، كذا في الشرح بالهامش.

فالمتبادر إلى الذهن أن لفظة: "الكبش" وضعت للدلالة على الحيوان، وظلت كذلك حينا من الدهر حتى زحزح دلالتَها الوضعية مبدع تعمّدها باستعارة بلاغية حسنة، ثم اشتهرت وانتشرت بدلالتها الجديدة حتى استغنت عن القرائن إلا بالقدر الذي يخلّصها من الاشتراك، وأما إن ذكرت منفردة فإن الدلالتين تتبادران إلى ذهن السامع مع سبق لدلالة الحيوان كما سيتبين.

ومما يرجح أو يقطع بكون دلالة "الكبش" على الحيوان أقدم من دلالته على حامية القوم، ورودها بدلالة الحيوان فقط، في لغات سامية أخرى؛ هي العبرية والسريانية والآشورية[17].

وعلى القول بقدم دلالة اللفظ على الحيوان وأنها أصل دلالات المشترك اللفظي الدال عليه وعلى غيره، بنى الدكتور سالم سليمان الخماش مقالتيه: (التوسع الدلالي في استخدام أسماء الحيوان، دراسة دلالية معجمية في حقول البدن والأوجاع والسلوك والأشكال والأعلام) و(أسماء الحيوان المستعملة في حقول الجماد).

واستدل على ذلك استدلالا أنثروبولوجيا، وبيانه أن منزلة الحيوان عند الإنسان القديم منزلة جليلة، «فهو أقرب الموجودات إليه؛ لأنه مخلوق ذو لحم ودم، نابض بالحياة وقادر على التفاعل معه، فيه كثير من صفاته»[18]. وكان يستدل أحيانا بما استدللنا به في لفظة "الكبش"[19].

ونظن أن الجامع بين الحيوان وعظيم الكتيبة، الباعثَ على استعارته له، شدة الضرب والحمايةُ والشرف والسيادة، أما شدة ضربه وحمايته فلأنه موصوف بكثرة النطح، والنطح

فيه سِجِيَّة، جاء في "لسان العرب": «النطح: للكباش ونحوها (...) وكبش نطّاح، وقد انتطح الكبشان وتناطحا، ويقتاس من ذلك: تناطحت الأمواج والسيول والرجال في الحرب، وأنشد: "الليل داج والكباش تنتطح"»[20].

وفي هذا الرجز الذي ينسب لعليٍّ[21] (رضي الله عنه) ترشيح للاستعارة بـ"النطح"، وله نظائر في الشعر منها قول أعشى قيس[22]: (ت 7 هـ)

ثم ما كاءُوا ولكنْ قدَّمُوا ... كبش غاراتٍ إذا لاقى نطحْ

أي: «قدّموا فارسا كأنه الكبش، كلما التقى بخصم نطحه فأرداه»[23]، كذا في الشرح. وقد تقدم نقله برواية أخرى من "مقاييس اللغة".

وقول صالح بن مخراقٍ العَبْدِيّ الخارِجيّ[24]:

وصَالحٌ في الحَرْبِ كبشٌ ناطِحُ

وقال الجاحظ: «والكبش ينطَح فيعقِر ويقتُل، من غير أن يهاج ويعبث به»[25]. فحمايته لنفسه ولما بحوزته أولى وأحرى.

وأما شرفه وسيادته فمعروفان عند العرب؛ لذلك أوَّلَ العابرون الكبش في المنام سيدا شريفا، قال كمال الدين الدُّمَيْرِيّ: «الكبش في الرؤيا رجل شريف القدر؛ لأنه أشرف الدوابّ بعد ابن آدم؛ لأنه كان فداء لاسماعيل عليه السلام»[26]. وجاء في "قاموس تفسير الأحلام": «والكبش: الرجل المنيع المتبوع»[27]. ووجه استدلالنا بتأويل الرؤيا أن بعضها يؤول بالأمثال السائرة[28]، وهذا منها. قال الجاحظ: «والمثل السائر: "إنما فلان كبش من الكباش". وإذا هجوه قالوا: "إنما هو تيس من التيوس"»[29].

ولم يوصف عظيم الكتيبة بالتيس -مع أن في التيس نطحا- لأنه مذموم عند العرب مُتَنقَّص، قال الجاحظ: «وقال عمرو بن العاص للشيخ الجُهَنِيّ المعترض عليه في شأن الحَكَمين: وما أنت والكلامَ يا تيس جُهينة؟! ولم يقل يا كبش جهينة؛ لأن الكبش مدح والتيسَ ذم»[30]. ومذمة العرب له مشتهرة في أشعارهم وخطبهم.

وقد يقول قائل: ها أنتم أولاء عددتم "الكبش" لفظة متطورة الدلالة، مع أن دلالتها الحادثة مجاز فيها، فلم لا تعدون "الأسد" و"النعامة" و"الثعلب" و"الحمار" و"الكلب" -

وكلها مما استعير للإنسان[31]- من مثل ذلك أيضا؟ والجواب أن يقال: إن هذه الأسماء التي سميتموها لم تمت مجازيتها. وإن كانت شهيرة في دلالاتها المجازية فإن شهرتها في دلالاتها الحقيقية أكبر، بل تكاد تكون نصوصا في دلالاتها الأولى، وقيل في تعريف النص: هو «ما لا يتطرق إليه احتمال أصلا؛ لا على قرب ولا على بعد (...) ولفظ الفرس لا يحتمل الحمار والبعير وغيره»[32].

وتفسير ذلك أن الاشتهار المميت للمجاز الجاعلَ إياه حقيقة، هو اشتهار أكبر من شهرة اللفظ بدلالته الوضعية. وقد نقَّبنا في "المفضليات" والأصمعيات" عن لفظتَي "الأسد" و"الكبش"؛ لنرى أي دلالاتهما أشيع في الاستعمال من الأخرى، واخترنا هذين المصدرين لأنهما من أوثق مصادر الشعر القديم[33]؛ فرارا من المشكوك فيه، حذر المنحول. واخترنا الأسد دون سائر الحيوان؛ لأنه من الحيوانات التي تحتفي بها العرب كثيرا، فيلزم منه كثرة دوران اسمه في أشعارهم. وهذا عرض ما وجدنا[34]:

	المفضليات والأصمعيات	الحيوان		الإنسان	
شعراء جاهليون ومخضرمون وإسلاميون	الكبش	5/2	% 40	5/3	% 60
	الأسد	7/6	% 86	7/1	% 14

المحصول:

يظهر هنا جليا تقارب نسبة استعمال "الكبش" في دلالة الحيوان من نسبة استعماله في دلالة قائد الكتيبة وعظيمها، هذا ما جعل لفظة "الكبش" مشتركا لفظيا، مع أننا نظن أن توسيع العيّنة سينبئ عن غلب يسير لنسبة استعماله في الحيوان في تلك الحقبة.

ويظهر أيضا غلب نسبة استعمال "الأسد" في الحيوان على نسبة استعماله في الشجاع البطل، وهذا ما ينفي كون الأسد مشتركا لفظيا يجمع الدلالتين. وإذا كانت هذه النتيجة ظنية لانبنائها على استقراء ناقص، فإنها مع ذلك مؤنسة.

وجدير بالذكر أن ثلاثة من سبعة مواضع وردت فيها لفظة "الأسد" بدلالة الحيوان، شُبِّه الإنسان به فيها[35]، ولكننا لم نعدّه مما جاء بدلالة الإنسان؛ لاستعمال الشعراء في استعارتهم أدوات التَّشبيه (الكاف أو كأن)، ولا جرم أن استعمالها في الاستعارة البلاغية يبطِّئ تطور دلالة اللفظة. فإن استبدل بها قرائن أخرى منفصلة، وكانت دوَّارة على الألسن مع طول الزمن، أمست دلالتها للتطور أقبل وأيسر.

وما يرجح هذا الذي ذكرناه في لفظة "الأسد" إعراض أهل اللغة عن ذكر دلالتها المجازية، البطل الشجاع، في معجماتهم، ومنهم الزمخشري الذي كان معتنيا ببيان الدلالات المجازية[36]؛ لأنهم علموا أن الأذهان لا تنصرف إلى غير دلالاتها الوضعية عند الإطلاق.

قال إبراهيم أنيس: «اللفظ ينحرف من مجاله الحقيقي إلى مجال مجازي ثم يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفا، ويعد حينئذ من الحقيقة، وتظل تلك الدلالة القديمة ملازمة للفظ في حدود ضيقة، ويكون للفظ دلالتان أو استعمالان، وكلاهما من الحقيقة، غير أن إحدى الدلالتين تكون أكثر شيوعا من الأخرى، بل قد يصل الأمر إلى أن تصبح الدلالة القديمة من الندرة وقلة الاستعمال بحيث تسترعي الانتباه، وتكاد تعدّ بمثابة المجاز حين تقارن بالدلالة الجديدة الشائعة المألوفة»[37].

فـ"الكبش" تدانت دلالتاه شيوعا حتى صارتا حقيقتين، وأما "الأسد" فلا.

2- تطوّر دلالة "الأَسَل":

قال ابن فارس: «(أسل) الهمزة والسين واللام تدلّ على حدّة الشيء وطوله في دقّة، وقال الخليل: الأسل الرماح. قال: وسميت بذلك تشبيها لها بأسل النبات، وكل نبت له شوك طويل فشوكه أسل»[38].

شرح القول:

نقل ابن فارس قول ابن أحمد في تعليل تسميتهم الرماح بالأسل؛ شوكِ النبات ذي الشوك الطويل. ولم نجد هذا القيل في معجم "العين" المنسوب للخليل، وإنما وجدنا: «ويسمى القنا أسلا تشبيها بطوله واستوائه»[39]. والضمير يعود على النبات لا على الشوك.

و"مقاييس اللغة" مشحون بأقوال الخليل في التأصيل وغيره، قال حسين نصّار: «وعني بإيراد أقوال الخليل وابن دريد خاصة، إلى جانب غيرهما من اللغويين (...) ولكن عنايته بالخليل أكثر»[40].

فابن فارس يرى رأي الخليل، ولو أنه يرى بطلانه لأعرض عن ذكره جملة، أو ذكره وعقّب بالتخطئة أو التضعيف والقولِ بخلافه، كدأبه[41]. إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، والسكوت تقرير. وما يؤكد ذلك أنه ذكر قريبا منه في معجمه الأول "مجمل اللغة" ولم يشر إلى أنه للخليل أو غيره، مما يجعله كأنه قوله هو، ففيه جاء: «الأسل: الرماح، أخذت من أسل النبات»[42].

والأصل الذي أصّله مشتمل على صفة الرماح من الدقة والاستطالة والحدّة، فحتى لو لم يرّدها -بلسان الخليل- إلى النبات لبقي القياس صحيحا فيها، وإنما فعل ذلك لعنايته ببيان التطور الدلالي، الذي عبّر عنه هنا بقوله: (وسميت بذلك تشبيها)، أي أنه انتقال دلالي استعاري، والشَّبَهُ فيه شكليٌّ.

وهذه عبارته الرياضية:

الدلالة القديمة: الأسل = شوك النبات ذي الشوك الطويل.

الدلالة الجديدة: الأسل = الرماح.

وتحصّل من هذا التطور الدلالي ترادف واشتراك. أما الترادف فبين الأسل والرماح، قال كراع في باب "الأسل وشبهه": «ويقال للرماح: الأَسَل»[43]. وأما الاشتراك فأمست لفظة "الأسل" تدل على النبات والرماح معا.

ولم نجد من صرّح بأن المستعار شوك النبات غيرَ ابن فارس. والذين صرحوا بأنه النبات ذو الشوك، الخليل في قوله: «الأسل: نبات له أغصان كثيرة دقاق، لا ورق له، ولا يكون أبدا إلا وفي أصله ماء راكد»[44].

والأزهري، الذي نسب هذا القول إلى الليث[45]. وحَكَى عن شمِرٍ عن ابن الأعرابي: «وقيل للقنا: أسَل، لِما رُكِّب فيها من أطراف الأسنّة»[46]. والجوهريّ كذلك، الذي ذكر

القولين وضعَّف الآخر، إذ قال: «الأسل: شجر. ويقال: كل شجر له شوك طويل فشوكه أسل. وتسمى الرماح أسَلا»[47].

وابن دريد أيضا، إذ قال: «والأسل: الرماح، شُبّهت بنبات الأسل المعروف في الآجام»[48]. وابن سيدة كذلك، الذي حكى قول أبي حنيفة: «الأسل: واحدته أسلة، تخرج قضبانا دقاقا ليس لها ورق ولا شوك إلا أن أطرافها محدّدة وليس لها شُعَب ولا خشب (...) وبه سُمي القنا تشبيها به في طوله واستوائه ودقّة أطرافه»[49]. والزمخشري في قوله: «وهو نبات دقيق الأغصان (...) وقيل للرماح الأسل على التشبيه»[50]. والفيروزآبادي، فإنه قال: «الأسل، محركةً: نبات، الواحدة: بهاء، والرماحُ والنبل وشوك النخل، وعيدان تنبت بلا ورق»[51].

وجاء في "المعجم الوسيط": «(الأسل): نبات ذو أغصان كثيرة شائكة الأطراف من الفصيلة الأسَلية، ينبت في الماء وفي الأرض الرطبة، وتُصنع منه الحُصُر والحبال. والأسل: الشوك الطويل. والأسل: الرماح (على التشبيه). والأسل: النبل. والأسل: كل ما رُقِّق وحُدّ من الحديد، من سيف أو سكين أو سنان»[52].

فتبيّن مما سيق ذهاب كثير إلى أن "الأسل" نبات، وقد جاء في أوصافه ما جاء، وإذا تأملتها جميعا علمت أن لا منافاة بين رأيهم ورأي ابن فارس؛ فإن هذا النبات أشواك كلّه، طويلة مجتمعة، سماها أحدهم أغصانا وآخر قضبانا.

ويتبيّن أيضا أن استعارة "الأسل" من النبات إلى الرماح، صرّح بها معظم من سقنا أقوالهم، ومن المصرحين بها أيضا أبو عبيد في قوله: «فنُرَى أن الرماح إنما سُمِّيَتْ الأسلَ لتَحَدُّدِها»[53].

ولكنه نازع في اختصاص "الأسل" بها، حيث قال في قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): «"لِيُذَكِّ لكم الأسلُ، الرِّماحُ والنبْل": فهذا يردُّ قول من يقول: إن الأسل الرماحُ خاصة، ألا تراه قد جعله النبلَ مع الرماح»[54].

وهو نزاع يظهر أنه تبع فيه شيخه أبا عبيدة[55]، فقد نقل الأزهري قوله في حديث عمر السالف: «لم يُرد بالأَسل الرماحَ دون غيرها من سائر السلاح الذي رُقِّق وحُدِّد. قال:

وقوله: "الرماح والنبل"، يردُّ قول من قال: الأسل: الرماح خاصّة؛ لأنّه قد جعل النبل مع الرماح أسلا»[56]. ومع ذلك شهد أبو عبيد بغلب استعمال "الأسل" في الرماح، حيث قال: «وقد وجدنا الأسل في غير الرماح، إلا أن أكثر ذلك وأفشاه في الرماح»[57].

ومما جاء فيه "الأسل" عاما، قول عليّ: «لا قَوَد إلا بالأسل، فالأسل عند عليّ (عليه السّلام) كلّ ما أرقَّ من الحديد وحُدِّد من سيف أَو سكين أَو سِنان»[58].

ويذكر أبو عبيد أن بعضهم يرى أن "الأسل" النباتَ هو المستعار من الأسل الرماحِ، حيث قال: «وبعضهم يقول في هذا النبات الذي قال الله تعالى فيه لأيوب (عليه السلام) ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص من 44]: إنما قيل له: الأسلُ؛ لأنه شُبِّه بالرماح»[59]. وما أنبأنا أبو عبيد بأسماء هؤلاء.

الشواهد الشعرية:

بحثنا عن "الأسل" و"الأسلات" في "الأصمعيات" و"المفضليات" و"جمهرة أشعار العرب"، وبعض دواوين شعراء قدماء جاهليين وإسلاميين، واعتمدنا تأريخ خير الدين الزركلي لوفياتهم[60]، وهذا موجودنا:

قال امرؤ القيس[61]: (ت 80 ق هـ)

يَحْمِلْننا والأسَلَ النواهِلا

و«الأسل: الرماح»[62]، كذا في الشرح.

وقال عنترة بن شداد[63]: (ت نحو 22 ق هـ)

ستعلم أيّنا للموت أدنى ... إذا دانَيتَ بِيْ الأَسلَ الحِرارا

أي: أطراف الرماح، ويقال: هي الأسنّة، كذا شُرح. وليس حمل "الأسل" هنا على أطراف الرماح أو الأسنَّة بأولى من حمله على الرماح.

وقال أيضا[64]:

وعاد بي فرَسي يمشي فتعثره ... جماجمٌ نثرتْ بالبِيض والأسلِ

أي: السيوف والرماح، كذا في الشرح بالهامش.

وقال ابن الزِّبَعْرَى[65]: (نحو 15 هـ)

صادقِ النَّجدة قَرْمٍ بارعٍ ...غيرِ ملتاثٍ لدى وقْعِ الأَسَلْ

أي: الرماح، كذا في الشرح بالهامش.

وقال ربيعة بن مقْرُومٍ الضَّبِّيُّ[66]: (ت بعد 16 هـ)

ويوم جُرَادَ استلحمتْ أسلاتُنا ... يزيدَ ولم يمرُرْ لنا قرنُ أعضبا

أي: القنا، الواحدة أسلة، كذا في الشرح بالهامش.

وقال لبيد بن ربيعة[67]: (ت 41 هـ)

قَدَّموا إذْ قالَ قَيسٌ: قَدِّموا ... واحفَظوا المَجْدَ بأطرَافِ الأَسَلْ

أي: الرماح كما هو ظاهر، وأطرافها الأسنّة.

وقال حسان بن ثابت[68]: (ت 54 هـ)

يُبارين الأعنّة مُصعِدات ... على أكتافها الأسل الظِّماءُ

أي: الرماح، كذا في الشرح بالهامش.

المحصول:

ليس فيما سقناه من شواهد ذكر للأسل بدلالة النبات بتة، وحتى أصحاب المعجمات الذين ذكروا هذه الدلالة لم يوردوا شاهدا عليها. وأقدم من عرفنا أنه في شعره ذكر "الأسل" الرماح، امرؤ القيس بن حجر، وهو شاعر قديم، وفي بيته ما يُشعر أن استعارة "الأسل" ليست قريبة العهد. ولم يرد في الشواهد المذكورة جميعا "الأسل" بغير دلالة الرماح، وما وجدنا قولَي عمر وعلي (رضي الله عنهما) في الصحيحين، ولكنّ أبا عبيد ثقة مأمون بالإجماع[69]، إن قال: وجدت "الأسل" في غير الرماح فقد وجده، فإنه لُغويٌّ مبين.

ومع ذهاب أكثر اللغويين إلى أن "الأسل" مستعار من النبات للرماح، فليس لنا أن نقطع بذلك، فقد خالفهم من نقل أبو عبيد مذهبهم وإن كانوا مجاهيل. ولو نظرنا إلى المسألة نظرة تاريخية لم نجد كذلك ما يسعفنا، إلا أن يقال: إن معرفة العرب للنبات سابقة لمعرفتهم السلاح، من حيث كانت الطبيعيات أسبق وجودا وعرفانا من المصنوعات، ومع هذا لا يجوز الجزم؛ فكذلك أمة العرب شهيرة بالحروب مذ كانت؛ ولذلك كانت منها العرب البائدة.

خـــاتمة:

لم يرد خلاف في القول بتطور دلالة "الكبش" من الحيوان إلى الإنسان بالجامع المذكور، فأكثر اللغويين على هذا الرأي بتصريح أو بتلويح، مع ما جاء في الشواهد من عاضد، وأما "الأسل" فرجحان القول بتطور دلالته من النبات إلى الرماح أقل؛ لخلو الشواهد من وروده بدلالة النبات، ولوجود قائلين بخلافه كما ذكر أبو عبيد، وإن لم يصرّح بأسمائهم.

الهوامـــش و المراجـــع

(1) ابن فارس (أبو الحسين أحمد، ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط2، 1979، ج5، ص154.

(2) ينظر مثلا: (بخص) 206/1، (تيه) 361/1، (بيت) 325/1،324.

(3) ينظر: الخليل (ابن أحمد الفراهيدي، ت170هـ)، كتاب العين مرتَّبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003، مادة (كبش)، ج4، ص7، وابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن، ت321هـ)، كتاب جمهرة اللغة، تحقيق وتقديم: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1987، مادة (كبش) ج1، ص345.

(4) ينظر: ابن فارس، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1986، مادة (كبش)، ج3، ص776.

(5) الزمخشري (جار الله محمود بن عمر، ت538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998، مادة (كبش) ج2، ص120.

(6) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت)، ص132،131.

(7) ينظر: الأساس 16/1.

(8) ينظر: حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ط2، 1968، ج2، ص709.

(9) ينظر مثلا: "تأثّفوه" الأساس (أثف) 20/1، والجوهري (إسماعيل بن حماد، ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1990، مادة (أثف)، ج4، ص1330. "جوش" الأساس (جوش) 156/1، والعين (جوش) 273/1. "انسلخ" الأساس (سلخ) 468/1، والأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد، ت370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد العليم

البردوني، ومراجعة: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت)، مادة (سلخ)، ج7، ص170.

(10) الأساس 15/1.

(11) ينظر: كُراع النمل (أبو الحسن علي بن الحسن الهُنَائيّ، ت310هـ)، المُنَجَّد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1988 المُنَجَّد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1988، ص73.

(12) الزَّبِيدِيّ (أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحُسيني، ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترزي، ومراجعة: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1972، مادة (كبش)، ج17، ص345.

(13) ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002، 277/1، 247/4، 211/7.

(14) المفضّل الضبي (ابن محمد بن يَعلى، ت178هـ)، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6، القاهرة، (د.ت)، ص207.

(15) نفسه، ص395.

(16) نفسه، ص95.

(17) ينظر: حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك الساميّ في اللغة العربية، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2008، ص323.

(18) سالم سليمان الخماش، أسماء الحيوان المستعملة في حقول الجماد، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2001، العدد1، مج3، ص105.

(19) ينظر: سالم سليمان الخماش، التوسّع الدلالي في استخدام أسماء الحيوان دراسة دلالية معجمية في حقول البدن والأوجاع والسلوك والأشكال والأعلام، مجلة كلية دار العلوم،

مكتبة دار العلم، الفيوم، 2007، العدد18، ج1، "اليربوع" ص194، و"القنفذ" ص195، و"اليَفَن" ص234.

(20) ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرّم، ت711هـ)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، مادة (نطح)، ج6، ص4459.

(21) تمام الرجَز:

الليلُ داجٍ والكباش تنتَطِحْ ... نطاحَ أُسْدٍ ما أراها تصطلحْ
أُسْدُ عرينٍ في اللقاء قد مرحْ ... منها نيامٌ وفريقٌ منبطحْ
فمن نجا برأسه فقد رَبحْ

ينظر: علي بن أبي طالب (أبو الحسن القرشي، ت40هـ)، ديوان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، تحقيق: عبد الرحمان الطويل، دار المجدد، سطيف، (د.ت)، ص38.

(22) الأعشى (ميمون بن قيس بن جندل، ت7هـ)، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق وشرح: محمد حسين، الإسكندرية، 1950، ص239.

(23) نفسه، ص238.

(24) إحسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1974، ص125،124.

(25) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت255هـ)، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1965، ج2، ص127.

(26) الدُّمَيْرِيّ (كمال الدين محمد بن موسى، ت808هـ)، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، مج2، ج4، ص328.

(27) خالد بن علي بن محمد العنبري، قاموس تفسير الأحلام أصول التعبير وطرقه وقواعده، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، 2003، ص74.

(28) نفسه، ص80.
(29) كتاب الحيوان، ط1، 1943، ج5، ص457،456.
(30) نفسه، ص462.
(31) استعير الأسد للرجل الشجاع البطل، والنعامة للجبان الرعديد، والثعلب للخب المخادع، والحمار للصبور أو البليد، والكلب لليقظ أو اللئيم الخسيس، نجد كل هذا في كلام العرب.
(32) الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد، ت505هـ)، المستصفى من علم الأصول، تحقيق وتعليق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1997، ج2، ص48.
(33) ينظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، ط7، بيروت، لبنان، 1988، ص511،510.
(34) ينظر: المفضّل الضبّي، المفضليات، ص416،395،285،212،207،144،95،33؛ والأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب، ت216هـ)، الأصمعيات اختيار الأصمعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط5، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص207،187،158،81.
(35) ينظر: المفضَّل الضبِّي، المفضليات، ص285،33، والأصمعيُّ، الأصمعيات، ص207.
(36) ينظر: العين (أسد) 68/1، والمقاييس (أسد) 106/1، والأساس (أسد) 27/1.
(37) دلالة الألفاظ، ص133،132.
(38) المقاييس 104/1.
(39) (أسل) 70/1.
(40) المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، ص463.
(41) ينظر: محمود عبد الله جفّال، منهج أحمد بن فارس في النقد اللغوي في معجمه مقاييس اللغة نقد الخليل وابن دريد نموذجا، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج78، ج4، ص1110، الرابط: www.mohamedrabeea.com/books/book1_789.pdf، تاريخ الزيارة: 2013/90/17، الساعة: 15:19.

(42) (أسل) 95/1.
(43) كُرَاع النمل (أبو الحسن علي بن الحسن الهُنَائيّ، ت310هـ)، المنتخب من غريب كلام العرب، تحقيق: محمد بن أحمد العُمَريّ، وفهرسة اللغة: مصطفى عبد الحفيظ سالم، جامعة أم القرى، ط1، 1989، ج2، ص493.
(44) العين (أسل) 70/1.
(45) ينظر: التهذيب (أسل) 74/13.
(46) نفسه، 75/13.
(47) الصحاح (أسل) 1622/4.
(48) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن، ت321هـ)، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1، بيروت، 1991، ص468.
(49) ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت458هـ)، المخصص، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ط1، مصر، 1898، ج11، ص167.
(50) الأساس (أسل) 27/1.
(51) الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب، ت817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، لبنان، 2005، (الأَسَل)، ص961.
(52) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، مصر، 2004، (أَسُل)، ص18 من المتن.
(53) أبو عبيد (القاسم بن سلّام البغدادي، ت224هـ)، كتاب غريب الحديث، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، ومراجعة: مصطفى حجازي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1994، ج5، ص201.
(54) نفسه، ج4، 1993، ص209.

(55) كان أبو عبيدة من شيوخ أبي عبيد. ينظر: أبو عبيد (القاسم بن سلّام البغدادي، ت224هـ)، الغريب المصنَّف، تحقيق وتقديم وصنع الفهارس: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1989، ج1، ص20.

(56) التهذيب (أسل) 75/13.

(57) كتاب غريب الحديث، ج4، ص209.

(58) التهذيب (أسل) 75/13.

(59) كتاب غريب الحديث، ج4، ص210.

(60) ينظر: الأعلام، 11/2، 91/5، 17/3، 240/5، 87/4، 175/2.

(61) امرؤ القيس (ابن حُجْر بن الحارث الكنديّ، ت 80 ق هـ)، ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السُّكَّريّ (ت275هـ)، دراسة وتحقيق: أنور عليان أبو سويلم ومحمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ج2، ص554.

(62) نفسه، ص555.

(63) عنترة بن شداد (ابن عمرو بن معاوية العبسي، ت نحو 22 ق هـ)، شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي (ت502هـ)، تقديم ووضع الهوامش والفهارس: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ص70.

(64) نفسه، ص136.

(65) حسَّان بن ثابت (أبو الوليد ابن المنذر الخزرجي، ت54هـ)، ديوان حسان بن ثابت، شرح وكتابة الهوامش وتقديم: عبد أ مهنَّا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1994، ص180.

(66) المفضَّل الضبِّي، المفضليات، ص378.

(67) لبيد بن ربيعة (أبو عقيل ابن مالك العامري، ت41هـ)، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ للطوسيّ، تحقيق وتقديم: إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1962، ص192.

(68) ديوان حسان بن ثابت، ص19.
(69) أبو عبيد، كتاب غريب الحديث، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، ومراجعة: عبد السلام محمد هارون، 1984، ج1، ص27.